

الثورات بين الواقعية والمزاودات من البوسنة إلى أرض الشام

د. جهاد أبو حمزة

مسؤول مكتب العلاقات العامة - حركة أحرار الشام الإسلامية



إن توصيف الواقع و تشخيص المشاكل ليس بصعوبة طرح الحلول الواقعية التي تناسب المرحلة و تناسب كذلك حالة الوهن التي تمر بها فسائل الثورة.

من السهولة بمكان لآحاد الناس أن يتمسكون بالثوابت حتى يصلوا إلى الأخدود ظافرين بالشهادة، لكن من غير الممكن و لا المقبول أن نقود الأمة في كل تجربة جهادية بذات العقلية لنزج بها وبالثورة في أخاديد أوهام التمكين و المبادئ!!

صحيح أنه ما زال بأيدينا الكثير من الأوراق لاستثمارها، صحيح أن لدينا الكثير من مقومات المواجهة و الاستمرار، صحيح أن إحدى أهم مشاكلنا ليست، عوزا في الموارد البشرية و المادية و إنما "إدارة" ما نمتلك من إمكانيات و موارد وتوجيهها بموازاة بوصلة الثورة، بدل تضييعها في خلافات داخلية و معارك على النفوذ و السلطة ضمن الفصائل وفيما بينها.

إلا أن علينا في كل مرحلة - وقبل أن نستعيir سقوف المراحل الماضية - علينا أن نقرأ الظرف الداخلي والإقليمي والدولي ، و واقع التحالفات وتغيراتها ، والأهم هو التقدير الصحيح - والمحدث باستمرار " up-to-date " لقوى أعدائنا و لقوتنا (أقصد قوانا الفعلية المؤثرة على الأرض وليس المقدرات والإمكانيات ، فثمة فارق شاسع !!)... علينا أن نقدر كل ذلك قبل أن نتحدث عن الطموحات التي نرجيها و الآمال التي نتعلق ونلقي قلوب المقاتلين وحاضنة الثورة بها .

والمثال الذي سأطّرّحه الآن أريد به الاستشهاد بطريقة التفكير لإدارة المعركة، وليس للانقاد بمخرجاته فيرجى التتبّه:

في أواخر أيام الجهاد البوسني كان لواء المجاهدين قد وصل أوج قوته، وبالتنسيق مع الجيش البوسني (الذي كان اللواء يتبع له) تمكن المجاهدون من تحقيق فتوحات واسعة (راجعوا فيلم بدر البوسنة) ووصلوا إلى بودوي بالقرب من بانيا لوكا عاصمة صرب البوسنة، وبدؤوا بالمناوشات مع الصرب البوسنيين في عقر دارهم. ثم ما الذي حصل ؟ !!!

خلال فترة وجيزة صادق علي عزت بيجوفيتش على وقف إطلاق النار، وتم توقيع اتفاقية دايتون !!! فما السبب الذي دفعه إلى خطوة من هذا القبيل في أوج انتصارات المسلمين العسكرية؟! و هل " باع .. " بيجوفيتش دماء شهداء البوسنة؟؟ و " استنكاف ... " عن الانتصار لأعراض حرائرها؟؟ و " ميع ... " قضية تهجير المسلمين القسري والتغيير الديمغرافي؟؟

أسئلة كثيرة، وشبهات أكثر كانت لتواجه بيجوفيتش رحمه الله لو أن تجربته كانت في أرض الشام . !

لقد كان رحمه الله وأحسن إليه بعيد النظر واسع الأفق عميق الفكر، متوفها لأبعاد اللعبة الدولية، ومدركا لحقيقة إمكانيات المسلمين الهزيلة في (البوسنة) ولضعف وتخاذل (أمة الإسلام)، و كان يعلم تماماً أن ما تحقق للMuslimين من تفوق عسكري إنما كان تسخيراً من الله [[وفق سنة التدافع (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض و لكن الله ذو فضل على العالمين)]]] للقوى الغربية التي كان يهمها كسر النفوذ الروسي المتمثل في تقوية الصرب السلاف أبناء عمومه الروس، و لقدقرأ بوعي و خبرة التغير السلبي في الموقف الغربي في الأشهر التي سبقت الاتفاقية.

ففقد حوصلت البوسنة عملياً بعد التسهيلات النسبية التي كانت تقدم للمجاهدين للوصول إلى أرض البوسنة (للعلم، فالبوسنة دولة داخلية تقريباً ومنفذها البحري الضيق كان محطلاً من قبل كرواتيا) فقد كان المشايخ والدعاة في أوربة الغربية يتبرون لهم ويدعون للجهاد و يجمعون الأموال للجهاد البوسني، و كان المجاهدون الأوروبيون يتجهزون من ألمانية مثلاً ثم يطيرون إلى أقرب نقطة ثم يدخلون البوسنة ويباشرون التدريب في معسكرات اللواء.

كل تلك التسهيلات أوقفت بل وبدأت الملاحقات الأمنية!!

كما جاءت كذلك مجزرة سربرينيتشا (8000 ألف مسلم في ملاذ آمن على أعين القبّعات الزرق)! في المناطق ذات النفوذ الضعيف للMuslimين لتزيد من الضغط على بيجوفيتش، ناهيك عن الضغوط الأوروبية عليه في الأيام التي تلت وصول المجاهدين قرب بانيا لوكا، حيث شهدت أروقة الدبلوماسية الأوروبية نشاطاً محموماً مؤذناً بتغير في الموقف الأوروبي تجاه المسلمين، وبضرورة إعادة تقييم الموقف من قبلهم .

و هنا كان القائد بيجوفيتش أمام مفترق طرق يجعل الحليم حيران. لكنه في آخر المطاف عزم أمره على المضي قدماً للاستفادة من انتصارات العسكرية التي حققها الجيش البوسني ورأس حربته (لواء المجاهدين) ليتحقق بها ما يستطيع من مكاسب على طاولة المفاوضات، متجاوزاً مزاودات منظري الوهم القابعين في لندن آنذاك وغيرهم من يحرق مشاريع الشعوب المسلمة لأجل الانتصار لمشاريعه الطوباوية، وذلك بدل أن يضيعها لهاـثا وراء طموحات خيالية و سقوف عالية

٤٩

فقد كان من الواضح أن المرحلة التالية ستكون مرحلة ضغط على المسلمين وستشهد تراجعاً عسكرياً في الميدان؛ واستقرَّ من هذه التغيرات أن التسخير الرباني للأوربيين قد شارف على الانتهاء وذلك تماشياً مع السنن الكونية التي تراعي موازين القوة والضعف في مرحلة الاستضعاف التي تمر بها الأمة.

فالتسخير الرباني للأعداء حسب سنن التدافع لا يكون مصادماً للنوميس الكونية ولا يحقق للMuslimين معجزات بقيام دولة الخلافة في زمن الاستضعف !! و إنما بـ //إتاحة المجال// للMuslimين التأثيرين المعزولين عن الأمة النائمة لتحقيق أفضل مكاسب ممكنة؛ فالمعركة لم تنتهِ بعد وإنما هي جولة ستتبعها - عاجلاً أو آجلاً - صولات وجولات علينا القبول باستراتيجية المكاسب المترافقـة دون القيام بمحاولة خطيرة بالقفز إلى الهدف النهائي مباشرة، ما كان سيؤدي إلى خسارة ما يمكن تحصيله آنـيا، بالـكـلـيـةـ) كما رأينا لاحقاً في عدد من الثورات(و هذا تماماً ما فعله بيـجـوـفـيـتشـ رـحـمـهـ اللهـ فـلـقـدـ تمـكـنـ منـ

انتزاع اعتراف دولي ب كيان مسلم سني في قلب أوربة، في البلقان .. وما أدرككم ما البلقان.

البلقان التي تمثل قبلة سنية موقوتة في قلب أوربة لطالما عمل الأوربيون على نزع فتيلها و سكتوا عن طغاة الشيوعيين الذين حكموها و ساموا أهلها سوء العذاب.فما الذي ستحققه في الشام .. ؟؟؟ في قلب الشرق الأوسط .. محط الاهتمام العالمي .. وبؤرة صراعات النفوذ منذ نشأت اول تجمعات بشرية في العالم فيها، و حتى ساعتنا هذه !!!

علينا أن نتوقع تماماً ماذا تعني هذه المنطقة بالنسبة لكل قوة عالمية ذات مصالح في المنطقة، علينا أن نتذكر أن الرقة الخضراء في إدلب و ما حولها و تلك التي تلون غوطة دمشق والوعر وريف حمص الشمالي - هذى المناطق التي تعتبر إلى حد كبير مشروعًا ثوريًا محليًّا القرار - ؛ علينا أن نتذكر أن هذه الرقة ما زالت في انكماس مستمر منذ أكثر من عام و نصف، بعدها شهدته من خسارات استراتيجية أليمَة في حلب والساحل والريف الشمالي والجنوبي لحلب، وفي القطاع الجنوبي للغوطة الشرقية وكذلك مناطق الصمود الأسطوري في الغوطة الغربية والوعر.

علينا أن نتذكر أن الفصائل العسكرية التي تحكم المنطقة لم تستطع التوصل إلى وثيقة تعايش سلمية مشتركة ناهيك عن ميثاق شرف ثوري ينسق جهودها لمواجهة أعدائها !! و بالتالي. علينا ألا ننساق وراء أوهام المشاريع الطوباوية ..

لا سيما أن المزاودين أنفسهم أصحاب الثوابت والسفوف العالمية والمشاريع العالمية، وجدنهم قد تجاوزوا كثيراً من العقبات التي كانوا يضعونها على طريق المشاريع الواقعية (المحلية)، وأن منهم من سقط سقوطاً مدوياً لدى أول تجربة سياسية صمم على تصدرها وأستحوذ القرار بشأنها ... !!

علينا أن تكون من الجرأة بمكان لنجمع أمرنا ونرسم حلولاً سياسية مستوحاة من مطالب الثورة، وكذلك من واقعها على حد سواء، علينا أن نجبر زمام المبادرة من معارضات الخارج، ومن المشاريع الخارجية ، ومن الظروف الخارجية وأن نجتمع لوضع مشروع محلي يراعي التضحيات كما يراعي تغيرات المواقف الدولية وموازين القوى ، وكلما تأخرنا في طرح مشروع كهذا، كلما قمت مناطقنا، وتراجعت سقوفنا، وضاعت تضحيات شعبنا.

تذكروا إخواني : إنما معركتنا اليوم //جولة// على طريق التمكين، فالحذر الحذر من أن نحمل الشعب والثوار مطامح أهداف الجولة النهائية، فنكر بذلك أخطاء بعض التجارب الجهادية التي لا ظهرأ أبقيت ولا أرضاً قطعت؛ وندفع بالشعب وتضحياته وبالثورة إلى الأخدود!!!

صفحة تجمع دعاء الشام على فايس بوك

المصادر: